



ملف العدد

المسرح الأردني في مئويّة الدولة الأردنيّة

أيار 2021 | العدد 388

ثقافية شهرية -تصدر عن وزارة الثقافة
المملكة الأردنية الهاشمية منذ 1966

388

المحتويات

4 **المفتتح /** هل الأدب المحلّي مظلوم نقديًّا؟ / د. نبيل حداد

ملف العدد / المسرح الأردني في مئويّة الدولة الأردنيّة

7 مقدمة الملف / المسرح الأردني في مئويّة الدولة الأردنيّة / يوسف ضمرة

9 النَّهضة المسرحيّة في الأردن: إرهاصات مسرح السبعينات / عبداللطيف شما

16 التجريب في المسرح الأردني / د. مجد القصص

21 جدليّة الخطاب النَّقدي في المسرح الأردني / د.عمر نقرش

28 الفُرجة الشعبيّة في النص المسرحي الأردني / د. يحيى البشتاوي

34 المونودراما في المسرح الأردني / د. عدنان مشاقبة

40 في ظلِّ مئويّة الدولة الأردنيّة: حضورٌ مُتنامٍ للمرأة في المسرح / مجدي التل

48 فانوس المسرح الأردني: الرّاحل نادر عمران / د. محمد خير الرفاعي

دراسات ومقالات

54 "دفاتر الورّاق" لجلال برجس / د.محمد عبيد الله

59 أنثربولوجيا الحواس / د.عبد الفتاح شهيد

63 "الحكمة" المجلة الأدبيّة الأردنيّة الأولى (1932م) / د. ماجد الزبيدي

67 الحركة النسويّة في ظلّ مئويّة الدولة الأردنيّة / د. هبة حدادين

72 القصة القصيرة ليست خطابًا مُلْغِزًا: قصص ليلى أبو زيد / محمد معتصم

78 للقمع وجوه أخرى: قراءة في "منديل أزرق جميل" / د. خولة شخاترة

82 محطّة القطار في عمّان: بوّابة الحلم والعهد الجديد / سحر ملص

88 رقصة البارود: مشترك ثقافي عربي مغاربي / الزبير مهداد

95 "السُّبوع" في الريف المصري / عُلا الطوخي إسماعيل

101 شخصيّات إعلاميّة: الإعلامي سلامة محاسنة / عامر الصمادي

106 **حوار العدد** / الرِّوائي الأردني جلال برجس/ حاوره: أحمد اللاوندي

إبداع

113 قصائد قصيرة- شعر / نضال برقان

114 ودَّعتنا الرِّياحُ المضيئةُ واستقبلتنا المراثي- شعر / حميد سعيد

116 تدريباتٌ لونيَّةٌ بالقلمِ الرّصاص- شعر / حسن شهاب الدين

118 لو كنتُ أدري- شعر / محمد يوسف الحجوج

119 أحد عشر يومًا وغزّة- قصة / تيسير نظمي

122 قصة (حدث على جسر "أول") لـِ"أمبروز بيرس" / ترجمة: سمير الشريف

124 **نوافذ ثقافية /** محمد سلام جميعان

"دفاتر الورّاق" لجلال برجس: بلاغة التعدُّد الصَّوتي ونقد العالم الباطني للمدينة

د.محمد عبيد الله*

فازت رواية (دفاتر الورّاق) للرِّوائي الأردني جلال برجس بالجائزة العالميّة للرِّواية العربيّة (2021)، وقد لفت هذا الفوز أنظار القرّاء إلى هذه الرِّواية الجديدة، ولعلَّ القارئ يتساءل عن سرّ فوزها وتقدُّمها على مئات الرِّوايات المتقدِّمة إلى أرفع جوائز الرِّواية العربيّة، ما الذي ميّزها؟ وما العناصر الفارقة التي تفوّقت فيها؟ وفي هذه القراءة الموجزة محاولة لتقديم الإجابة ضمنيًّا عن بعض هذه الأسئلة من خلال وضع "دفاتر الورّاق" في مرايا الجنس الرِّوائي وتاريخه المعاصر، ومن خلال التركيز على سماتها الخاصة.

تُعيدُنا رواية (دفاتر الورّاق)، (منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2020) إلى صلة الرواية بالمدينة المعاصرة، وتؤكّد في مجمل طرحها وطريقة معالجتها أنَّ الرواية جنس أدبي يمتلك قدرة فائقة على تناول العالم المديني المعقّد، وعلى إمكانية تقديم قراءات متعدّدة في مكوّنات هذا العالم وفيما يخبِّئه من بلاغة المهمَّش والمسكوت عنه، ففي هذه المناطق تتخفّى خيوط السرد التي تتحدّى ممكنات الرواية، فيغدو من مهمّتها أن تكشف كثيرًا أو قليلًا من العالم الباطني للمدينة المعاصرة التي يبدو أنَّ تناقض ظاهرها مع باطنها مرض جسيم لا شفاء منه، وهو يتسبَّب بكثير من أزمات النفس البشرية في عصرنا المضطرب.

وإذا اقتربنا أكثر من الرواية على مستوى الرُّؤية، فيمكننا تكثيف القضية الأساسية لها في إقدامها على الكشف العميق عن جوانب من عالم المدينة، مدينة عمّان، كأنها تتخذها مثالًا للمدينة الحديثة، وتتأمّلها من منظور نقدي تتيحه الرواية، وتبعد بذلك عن مجاملات الوصف البرّاني؛ فليس الروائي زائرًا أو سائحًا يصف ظواهر الصور، بل من أكبر مهمّاته أنْ يتعمّق في الظواهر المعقدة التي تخبئها مدينتنا المعاصرة دون مداورة أو مجاملة، ونرى أنَّ هذه الرواية تحاول فيما تحاول أن تستكشف بعض أسباب التشوُّه والتمزُّق الذي أصاب المدينة العربية على الصعيد الإنساني والاجتماعي، فيما ظاهرها الاقتصادي والتكنولوجي والمعماري يوحي بالتقدُّم والتوسُّع والتطوُّر. معظم الشخصيات لديها علاقات ممزَّقة في مستوى فقدان الأمومة أو الأبوة أو كليهما، وفي مستوى الانتماء الاجتماعي والسياسي، وتبعًا لهذا فإنَّ علاقات الحب والاجتماع الإنساني محكومة بالتمزّق أيضًا، فما من علاقة سليمة أو عفيّة، بل هي مَرَضيّة أو تعويضيّة في أفضل الصور.

ونحسب أنَّ واحدة من وظائف الرواية الكبرى؛ أن تجتهد في البحث عمّا هو إنساني، وأن تنقد

* ناقد وأكاديمي أردني

mobaidallah@hotmail.com

التشوّهات التي تصيب المجتمعات الحديثة، وخصوصًا في عصر العولمة وعصر ما بعد الحداثة، بما فيها من اغتراب وتشيّؤ، وإحساس عام بفقدان اليقين والطمأنينة. ولقد نهضت رواية (دفاتر الورّاق) على هذه المواجهة الحادة بين الإنسان وعصره ومدينته، وهي في رأينا واحدة من روايات قليلة راهنة واجهت واقعنا بوعي نقدي، وبرؤية تعي علاقة الإنسان بالمكان، بعيدًا عن وهم التقديس والتصنيم المجاني، وبعيدًا أيضًا عن الحنين الرومانسي، وأجادت قراءة الواقع ونقده دون مجاملة، مع وضعه في سياقه التاريخي على المستوى الإقليمي (العربي) وعلى المستوى العالمي (الدولي)، إلى جانب الالتفات إلى ماضيه القريب من خلال تتبُّع ماضي الشخصيات وجذور تكوّنها في بيئات بدوية وريفية قبل أن تنضمّ إلى المدينة وتظلّ مهمّشة فيها على الرغم ممّا تمتلكه من تطلعات ومن معارف وتصورات لم تجد فرصة لاختبارها وتطويرها، لأسباب متشعبة تعرض الرواية بعضها، من مثل: القمع السياسي، والتفاوت الطبقي، والفساد، واضطراب معايير العدالة والنزاهة، وصولًا إلى بعض المشكلات الحادة من مثل مشكلة الهويّة وتشوُّشها واضطرابها لأسباب كثيرة، وقد أنتج هذا الواقع المضطرب كائنات مفزوعة على الرغم من تضحياتها الجسيمة.

إنَّها رواية بليغة في تصوير التشوُّه، والتعمُّق في أسبابه ورصد مظاهره. ويمكن القول في ضوء ما سبق إنَّ هذه الرواية تنتمي إلى أدب (الديستوبيا) وتبعد عن (اليوتوبيا)، أي أنها تجعل توصيف فساد المدينة المعاصرة وتناقضها ومفارقاتها ميدانًا لنقدها وتحليلها من خلال شخصيات دالّة مختارة، وشبكة علاقات معقّدة تكشف عن أبعاد التمزُّق والوهن والاغتراب.

وجاء تشكيل الرواية: بناء، ولغة، وتقنية، وتركيبًا، وحبكات، ملائمًا أو متكيّفًا مع رؤيتها الممتدة، وأوّل ما استندت إليه أنها استعادت سمة "التعدُّد الصوتي"، تلك السمة التي طالما شرحها الناقد العظيم (ميخائيل باختين) وبشّر بها في مؤلّفاته بوصفها أهم عنصر في معمار الرواية وأساس بنائها الموضوعي والأسلوبي، وأنها ما يجعل الرواية روايةً بحقّ، وعلى أساسها قرأ روايات (دوستويفسكي) بوصفه مثالًا فذًّا على جماليات هذه السمة الكبرى. وقدّم نجيب محفوظ مثالًا عربيًّا راقيًا للتعدّد الصوتي، ومن اللافت أنَّ رواية (دفاتر الورّاق) قد استعادت في مراياها كلا الكاتبين الكبيرين، دوستويفسكي في رواية (الأبله) بخاصة، ونجيب محفوظ في (اللص والكلاب) وفي (الثلاثيّة) في مستوى عميق من مستويات قراءة الرواية الجديدة للمتون الروائية السابقة. وتلفتنا هذه الظاهرة وننبّه إلى أهميّتها وحيويّتها، بعدما دخلت الرواية العربية في العقود الأخيرة ممرًّا ضيقًا هو ممرّ "التذويت" بحجة علوّ الفردية وإبراز روح الفرد المعاصر، ولكن (دفاتر الورّاق) تبرز لنا جماليات التعدُّد، وبلاغة التنوُّع، وتنبئ بأنَّ اتجاهات التذويت والشعرية مكانها الشعر، والخاطرة، والنصوص النثرية ذات المنزع العاطفي، أمّا الرواية فدرامية بطبيعتها وخياراتها، وعاطفيتها عاطفية الموقف، وغنائيتها غنائية الحدث. وقد تمكّنت رواية (دفاتر الورّاق) من نسج صيغة متطوِّرة من التعدُّد الصوتي، تبعًا لإنشاء السرد من منظور شخصيات متعددة وليس شخصية واحدة، فبالرّغم من وجود "إبراهيم الورّاق" بطلًا رئيسًا أو شخصية مركزية فقد حرص الرِّوائي على حضور مجموعة من الشخصيات لا تقل وظيفة وحيويّة عنه.

وتنقلنا صلة دفاتر الورّاق بالروايات العالمية والعربية السابقة إلى محاولة الإلماح إلى دورها في بناء الرواية،

فلقـد ذكـرت الرِّوايـة طائفـة واسـعة مـن الروايـات والكتـب والشـخصيات والمواقـف المنتقـاة التـي تشـكِّل بمجموعهـا ثقافـة نوعيّـة للروايـة، وهـو مـا يذكِّرنـا بأهميّـة الثقافـة في الروايـة، وهـو مـا يتيـح لهـا أن تتحـاور مـع تاريـخ جنسـها الأدبي وعيـون الروايـات فيـه، وقـد جـاءت هـذه العلاقـة متينـة في (دفاتـر الـورّاق) اسـتنادًا إلى مهنـة بطلهـا الأخـيرة وصلتـه الوثقـى بالكتـب وشـغفه بالقـراءة، حتـى غـدت جـزءًا مـن عالمـه وعزلتـه، وتجـاوز بسـبب ذلـك الحـدود العاديـة للقـراءة إلى درجـة التفاعـل والتأثـر بالشـخصيات التـي أعجـب بهـا، أضـف إلى ذلـك مـا أسـبغته عليـه الروايـة مـن ميـل إلى المحـاكاة والتقمّـص منـذ طفولتـه، فاجتمـع لـه أمـران مهـمان سـوّغا اسـتدراج الروايـة لمجموعـة مـن المواقـف المختـارة مـن روايـات كـبرى، لتندمـج تلـك المواقـف والشـخصيات في شـخصيته، ويقْـدِم بوحـي منهـا وبتأثـير مـن قرينـه وصوتـه الداخـلي عـلى مجموعـة مـن المغامـرات في مرحلـة اللصوصيـة والجريمـة والكوابيـس التـي وصـل إليهـا بعـد تفاقـم أزماتـه ومعاناتـه. هـذه السـمة تحتـاج إلى دراسـة مفصَّلـة لبيـان تجاوزهـا لحـدود التنـاص المتعـارف عليـه في دراسـة النصـوص الأدبيـة، ولنقلـه إلى مسـتوى متقـدم مـن ظاهـرة "الميتـاسرد"، عـلى مسـتوى الجنـس الأدبي بوصفـه سـياقًا أوسـع للروايـة، وعـلى مسـتوى ميـل الروايـة إلى تصديـق نفسـها ومكونـات عالمهـا واسـتعادة بعـض أحداثهـا ومواقفهـا لتغـدو ذات وظيفـة أخـرى في موقـع آخـر، مـن مثـل كوابيـس "إبراهيـم الـورّاق" التـي سـجّلها في دفـتره ومذكراتـه، واتخـذ منهـا المحققـون دليـلًا عـلى احتـمال ارتكابـه الجرائـم التـي وقعـت بحـق بعـض شـخصيات الروايـة، مـن فئـة الأشرار أو المسـتغلين أو المتسـببين بفسـاد المدينـة.

وقدّمـت (دفاتـر الـورّاق) صـورة جديـدة مـن صـور بلاغـة القطـاع المهمّـش المتمثـل في معظـم شـخصيات هـذه الروايـة، بمـن فيهـم "إبراهيـم الـورّاق" الشـخصية الرئيسـة، فـإلى جانبـه شـخصيات لا تقـل أهميـة وحضورًا عـن شـخصيته: "ليـلى" ورفيقاتهـا ورفاقهـا أبنـاء الملجـأ، ممّـن وجـدوا أنفسـهم في عـالم ظـالم لا ذنـب لهـم فيـه، سـوى أنهـم وُلـدوا لقطـاء في عـالم المدينـة وعلاقاتـه المضطربـة. وهنـاك شـخصية "جادالله" والـد "إبراهيـم" التـي تحـضر مـن خـلال دفـتر خـاص يشـبه أن يكـون روايـة أو سرديّـة نوعيّـة مغايـرة للغـة "إبراهيـم" ولغـة مدينتـه، وهنـاك "السـيدة نـون" أو "نـاردا" الصحافيـة التـي قدمتهـا الروايـة بوجـوه مختلفـة وجعلتهـا -إلى جانـب تجربتهـا وسرديّتهـا الخاصـة- شـاهدًا عـلى جيـل الأب "جادالله" والابـن "إبراهيـم" معًـا، ولم تتجمّـع في شـخصية واحـدة إلا قريبًـا مـن نهايـة الروايـة.
ومـع حمولتهـا الواقعيـة فقـد تميّـزت (دفاتـر الـورّاق) بحبـكات التشـويق والمتعـة الروائيـة التـي اشـتغلت عليهـا الروايـة بـذكاء ومكـر إبداعيـين، فمزجـت بـين تقنيـات الحبـكات البوليسـية المتمثلـة في الميـول إلى الجريمـة وارتكابهـا واقعًـا أو خيـالًا، وحـوادث سرقـة المصـارف وبيـوت الأثريـاء، وحـوادث الانتحـار ومحاولاتـه، وهـي مسـبّبة بتناقضـات الشـخصيات واضطرابهـا النفـسي، نتيجـة صدامهـا الحـاد مـع واقعهـا، ومـا خلّفـه مـن أزمـات وتشـوّه نفـسي، (انتحـار الأب جادالله، انتحـار ابـن الجـارة العجـوز أنيسـة بسـبب غرقـه في الديـون...) ومحـاولات "إبراهيـم" الانتحـار، ومحـاولات "السـيدة نـون"... إلى جانـب حـوادث القتـل والمـوت والمـرض، وغـير ذلـك مـن حـوادث ذات طابـع درامـي قـوي. يضـاف إلى ذلـك مقـدرة الروايـة عـلى التفنُّـن في التأجيـل والإرجـاء، ممّـا يسـمح بعـدم كشـف

الخيوط دفعة واحدة، وإنَّما كشف ما هو ضروري منها في موقعه، ومن البيّن أنَّ الحبكة تعرَّضت لغير قليل من النسج المشوق الذي جعلها تتجاوز مخاطر الرواية الممتدة أو الطويلة مع المحافظة على عناصر الجذب والتشويق.

ومن اللافت أنَّ شخصيات الرواية بمقدار نزعتها الناقمة والناقدة والرافضة للواقع، فإنها قد أفادت من كثير من مكتسبات المرحلة الراهنة، وبوجه خاص اهتمامها بتأثيرات الثقافة الرقمية، وإدماجها مكوّنًا بارزًا في النص الروائي، فغدت مواقع التواصل وتقنياتها وطرق اختراقها والوصول إلى المعلومات من خلالها جزءًا لافتًا في حبكة الرواية وسلوك شخصياتها، وعلى سبيل المثال فلقد كوّن "إبراهيم الورّاق" لنفسه هوية رقمية على مواقع التواصل باسم (ديوجين) وهو اسم فيلسوف إغريقي قديم من روّاد المدرسة (الكلبية). وقد أحسنت الرِّواية توظيف هذه الهوية لتشغل حيزًا بيّنًا فيها، فتسهم في تطويرها وتسهم في قوة جاذبيتها وتشويقها. وتبادل "إبراهيم" رسائل كثيرة من خلال هاتفه مع طبيبه "يوسف السماك" الذي تكشّف عن شخصية معقّدة لها معاناتها القاسية المخبأة أو المكتومة، بسبب عدم اعتراف والده بنسبه، وأنه يعيش منسوبًا إلى رجل آخر ليس والده الحقيقي، وهو على الرّغم من عمله في الطب النفسي لم يشفَ من اضطرابه، ولم يحقّق هويته، فظلت هوية مضطربة مشوشة بسبب اختلال الانتماء في مجتمع يقدِّس الأصول ويقيم لها اعتبارًا عاليًا.

وفي الرواية مساحة رحبة للتحليل النفسي على أساس مبادئ "فرويد" و"يونغ"، وقد جاء ذكرهما مرارًا في الرواية، وحضر فيها مبدأ القرين الذي يتراءى لإبراهيم الورّاق في تخيُّلاته أو تهيؤاته، ظلّ يسمع صوت قرينه وشكَّل هاجسًا مسيطرًا عليه، ومصدره المرض النفسي الذي يتراوح بين الاكتئاب والوسواس القهري، نتيجة الخوف الذي تربّى عليه، ونتيجة الخيبات التي مني بها، هذا المبدأ أو الهاجس المسيطر شكَّل وظيفة ملحوظة في الرواية. وأحيانًا يتبادل معه الأدوار؛ فهو ليس إلا صورة أخرى من صور نفسه أو انشقاقه أو حتى انفصامه في مرحلة متقدمة من مرضه. تقنيًّا أسهم القرين في جعل الحوار الداخلي ثنائيًّا، للتنويع على تقنية المونولوج وتيار الوعي، وهما تقنيتان متداخلتان حاضرتان إلى جانب الحوار مع القرين.

الروائي الأردني جلال برجس

ويمكننـا أن نلاحـظ تقنيـة المخطوطـات أو الدفاتـر المتنوعـة: وبوجـه خـاص الدفاتـر أو المخطوطـات الرئيسـة التـي وظّفتها الرواية تقنيـةً أساسـيةً سـمحت لهـا بتقديـم الروايـة مـن عـدّة منظـورات، فكانـت عنصرًا منسجمًا مع مبدأ التعدد الصوتي: الدفتر الأول دفـتر "إبراهيـم الـورّاق"، وهـو أكـبر الدفاتـر وأشـملها، كتبـه "إبراهيـم" بعـد الفـراغ مـن تجربتـه واسـتقراره في مستشـفى الأمـراض العصبيـة، والدفـتر الثـاني دفـتر الصحافيـة أو "السـيدة نـون" الـذي يضـمّ مذكّراتهـا وقد عـثر عليـه "إبراهيـم" أول الأمـر عندمـا صادفهـا في العقبـة عنـد الجسر الـذي كان ينـوي الانتحـار بقربـه، والدفـتر الثالـث دفـتر الأب "جادالله" الـذي احتفظـت بـه المـرأة نفسـها، وسـجّل فيـه مـا يشـبه الروايـة السـيرية عـن أسرتـه وحياتـه قبـل الانتقـال إلى عـمّان، وتبـيّن أنهـا أحبّتـه وتزوّجتـه قبـل أن يتحـوّل إلى العنـف معهـا وطلاقهـا تحـت ضغـط أزماتـه وكـبر سـنّه وخيباتـه المركّبـة وانتهـاءً بانتحـاره أو مقتلـه.

وتبـدو لنـا هـذه الروايـةُ معـتركًا لمعظـم التقنيـات المعروفـة في الجنـس الـروائي، وهـو تحـدّ كبـير خاضتـه وخرجـت منـه سـالمة، فـإلى جانـب مـا سـبق ذكـره يمكننا التذكـير بمـا فيهـا مـن تقنيـات، مثـل: تقنيـة الرسـائل التـي حـضرت مـرارًا في الرسـائل الإلكترونيـة المتبادلـة بـين "إبراهيـم الـورّاق" والطبيـب النفـسي "يوسـف السـماك"، وكذلـك الرسـائل المتبادلـة بـين "إبراهيـم" والصحافيـة "نـاردا" أو "السـيدة نـون". وهنـاك أيضًـا أنمـاط الكتابـة المرتبطـة بوسـائل التواصـل الاجتماعـي مـن تعليقـات، وملاحظـات، ففـي عـدة مواقـف أدرجـت الروايـة نصوصًـا مـن كتابـات "إبراهيـم الـورّاق" عـلى موقـع (الفيـس بـوك) ووصفـت مهارتـه في التعامـل مـع الحاسـوب وتقنيـات الإنترنـت بمـا فيهـا المقـدرة عـلى الاخـتراق والحصـول عـلى المعلومـات وتوظيفهـا لمصلحتـه. وهنـاك تقنيـة الأحـلام والكوابيـس التـي يمكن أن تكـون امتـدادًا طبيعيًـا للاهتـمام بالإطـار النفـسي للشـخصيات، ونتذكّـر أنّ "فرويـد" عـدّ الحلـم والكابـوس ونحوهـما مـن المـواد المهمّـة المرتبطـة باللاوعـي، ومـن خـلال الأحـلام حلّـل الشـخصيات وعالـج المـرضى.

وقـد حرَصـت الروايـة ومـن ورائهـا الـروائي عـلى التبـادل المتـوازن بـين عنـاصر السـرد والوصـف والحـوار وتمثيـل الأقـوال، فهـذه عنـاصر أساسـية في النسـيج الـروائي، وقـد اعتنـت الروايـة بـكل منهـا وفـق مـا يقتضيـه ذلـك مـن تفصيـلات ومـن مسـتويات لغويـة وفنّيـة مركّبـة، وتبعًـا للوعـي بعنـصر التعـدّد الصـوتي جـاءت هـذه المسـتويات متباينـة أو متعـددة لغويًـا، وقـد أسـهم هـذا الوعـي بهـذه العنـاصر وبحيويـة التبـادل بينهـا، مـع مبـدأ المخطوطـات الـذي سـبقت الإشـارة إليـه، إلى ضرب مـن اللغـة الروائيـة المحكمـة أسـلوبيًا، وقـد تضافـر دور هـذه العنـاصر مجتمعـة في إحـكام الروايـة بمجموعهـا، وهـو مـا يشـعرك حـين تنتهـي منهـا برغبتـك في أن تقرأهـا مـن جديـد.

